ايدولوجيا كولونيالية مرتبطة بطبقة تواءمت مصالحها مع مصالح الامبريالية او شكلت احد رافعات هذه الامبريالية نفسها · فالتحرر القومي يعني دفاع شعب ذي عمق تاريخي عن ارضه التي احتلها اخر ، فأين هي ارض الصهيونية ، الا اذا اراد شومسكي ان ينسى الارض الصلبة ويحل محلها أرض الاساطير الدينية ، واين هو العمق التاريخي المشخص لصفة وثقافة «الشعب اليهودي» ، واين هو نمط الانتاج الموحد الذي يجمع اليهود ويجعل منهم بنيانا اجتماعيا ذا مفاصل اجتماعية وايديولوجية وسياسية موحدة ؟· ان شومسكي يضيع مقاله العلمي ويسقط في اللاهوت· فاذا اخذنا الشق الاخر من المشكلة : تحرر قومي ممن وكيف ؟ يقول الصهيونيون في رواياتهم وافلامهم انهم ناضلوا ضد الكولونيالية البريطانية · لكن التاريخ يقول شيئا اخر · فنسبة السكان اليهود في اول القرن لم تكن تتجاوز ٥٪ ثم جاء وعد بلفور ودفعها الى الامام ، ثم سهل لها القمع النازي والكولونيالية البريطانية الوصول الىفلسطين لتصبحنسبة اليهود من السكانفي نهاية الحرب العالمية الثانية ٣٥٪ · فهل جاء اليهودي البولوني من وارسو ليمارس تحرره القومي في فلسطين ؟ وهل جاء ليدافع عن ارضه ؟ · مما لا شك فيه انه من الصعب والمستحيل اعتبار هذا التراكم البشري اللامتجانس شعبا ذا شخصية قومية ويدافع عن ارض اغتصبها من غيره · ان المهاجرين اليهود الى فلسطين ليسوا الا نسخة اخرى مضللة او صاحية من المستوطنين الكولونياليين الذين قذفتهم الرأسمالية والامبريالية الى « العالم الثالث » · ان شومسكي هنا يقفز عن التاريخ او ينساه او يقرأه بشكل صهيوني ، قراءة متناقضة بين الصهيوني واليساري تكون الغلبة فيها للصهيوني · فاذا رجعنا الى التاريخ من جديد لوجدنا صفعا اخر لمنطق شومسكي · فالكولونيالية البريطانية كانت العتبة ـ الحليف للكولونيالية الصهيونية ، مستعمر يتكامل مع اخر · اضف الى ذلك ان الصهيونية لم تحارب « المستعمرين البريطانيين » بل حاربت وكأي كولونيالية اخرى سكان البلادالاصليين ، وقامت « كتائب الليل » التي شكلها الصهاينة بـ« بدور فعال » في النضال ضد الفلسطينيين خلال ثورة ١٩٣٦ ·

ويمكن أن نقول ان الكولونيالية البريطانية والكولونيالية بشكل عام شكلت الرحم الذي قذف بالكولونيالية الصهيونية الى الوجود ثم حماه ورعاه حتى اصبح قادرا على « رعاية نفسه »· ان الشخصية القومية تكونت لدى شعوب العالم المناهضة للكولونيالية خلال نضالها من اجل التحرر والاستقلال، لكنها كانت شعوبا قائمة ، موجودة ، وليست جمعا من «المهاجرين» ·